

لعل لهم في منظوى الغيب نائراً
 بعجر تضيق الأرض من زفراته
 توامضه شمس الضحى وكأتما
 له رفدة بين السجاء وبينه
 يود الذى لا فاه أن سلاحه
 فيدرك نأر الله أنصار دينه
 ويقضى إمام الحق فيكم فضاءه
 وقد كان في يحيى مذمر خطه
 أفى الحق أن يسوا خصاصاً وأنتم
 تشون مختالين في حجرانكم
 وليدكم بادى الطوى ووليدكم
 ولم تضعوا حتى استنارت فبورج
 وهذه القصيدة « ١١٠ » أبيات اخترنا منها هذا القسم لاجتدال وليبيان بعض الأحوال
 [بغداد] مصطفى جواد

اللغات الهندية

بقلم الأستاذ إحسان سامي حقي
 أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة [الهند]

قد يستغرب السامع لأول وهلة ، إذا ما قلت له إن في الهند ما يقرب من مائة لغة فحية يتكلم
 بها في مقاطعات أو ولايات مختلفة ؛ ولكن استغرابه هذا يزول إذا ما عاود وفكر في الهند ،
 تلك البلاد الشاسعة غير الصغيرة ، بل القارة القائمة بذاتها ، وإن كانت تنضوي تحت اسم
 واحد . وإن أوروبا التي لا تزيد كثيراً عنها في المساحة ، فيها من اللغات ما يقارب الأربعين ،
 وكلها قائمة بذاتها ، ولكن الفرق أننا إذا ما قلنا أوروبا فإنا نقسمها من : فرنسا والمانيا ورومانيا
 أو إسبانيا وغيرها من الحكومات الكثيرة ، وأما إذا ما قلنا الهند ، فإنا نقسمها منها حكومة واحدة ؛
 على أن الأمر غير ذلك أو أن ما ينطبق على أوروبا في هذا الباب ينطبق تمام الانطباق على الهند ،
 لأنها وإن كانت تعد ببلاداً واحدة ، فهي بما فيها من فواصل طبيعية وأجواء مختلفة تكاد تكون
 منفصلة الأجزاء ، ولوشئنا تعرف تقسيمها ، كما هي أوروبا مقسمة ، لاستطعننا أن نقول : البنجاب ،

والبنغال ، والولايات المتحدة ، والسند وغيرها ، ونعني بكل واحدة من هذه الولايات أو الولايات حكومة مستقلة كما هي الحال في أوروبا .

ولكن مع هذا كله نرى أن اللغات الهندية أكثر من الأوروبية ! والسبب في ذلك يرجع أولاً إلى أن الهند أقدم في الاكتشاف وأعرق في الحضارة من أوروبا ، وثانياً لأن لغاتها مأخوذة عن أصول مختلفة ، بعكس اللغات الأوروبية فانها ترجع إلى أصل واحد فقط . واللغات الهندية كلها حية مستعملة ، غير أن بعضها أعم من البعض وأعز في أدبه ومادته . وعلى ما يظهر من التجري والتحقيق في هذا الشأن رغم بعد الزمان ، هو أن اللغة السنسكريتية كانت في وقت ما لغة معظم الهند ، لأنها لغة كتاب الوثنيين المقدس ، إلا أن هذه اللغة الآن قد قاربت أن تملون في الهند كاللغة اللاتينية القديمة في أوروبا ، حيث تقام بها الصلوات في البيع ولا يفهمها أحد ؛ وهي لغة واسعة جداً إلا أنها صعبة للغاية حتى إنه قل من يوجد في الهند ومن يحسنها أو يتقنها ، وإنما علماؤها يمدون على الأصابع ؛ وغيرهم ممن يعلمها أو يدعي علمها إنما هم من المتطفلين لا غير ، أو هم أشبه في حالهم هذه بحال العربي الأعمى الذي يستطيع أن يتكلم العربية ويفهمها ، ولكنه لا يستطيع أن يفهم كتاباً مكتوباً باللغة الفصحى ، أو أن يكتب بلغة صحيحة . وقد أحببت مرة أن أدرسها فطلبت إلى أحداً لاساندة ذلك ، فقال لي : وماذا تتفنى من تعلم هذه اللغة ؟ قلت لكي أدرس أديابا ؛ فقال لي : إنني قد صرفت عمري وأنا أدرس وأدرس هذه اللغة ، ولم أصل إلى الدرجة التي تريد أن أنت ! وقد ذكرني قوله هذا بحكاية لطيفة جرت لأحد الأصدقاء وهي أنه اجتمع مرة برجل صيني وسأله ، فيما سأله ، عن اللغة الصينية فقال له الصيني : إن لغتنا لغة سهلة جداً يمكنك أن تتعلمها بعد عشر سنوات على الأقل ! إلا أنه مما لا يمكن إنكاره ، أن اللغة السنسكريتية لغة واسعة جداً ، ذات أدب جهم وفلسفة كاملة ، وهي أشبه اللغات باللغة العربية ، كما رأيت من مطالعتي لما ترجم عنها أو ما اتصل بها يقرب من اللغات التي أعرفها .

ثم تأتي بعد هذه اللغة ، اللغة البنغالية ؛ وهي الآن من لغات الهند الحية ذات الأدب الواسع ، ويتكلم بها ما لا يقل عن عشرة ملايين من البشر ، وتصدر بها عدة جرائد ومجلات ، وتدرس في المدارس كلغة حية . وتأتي بعد هذه ، اللغة البنجابية ؛ وهي لا تقل عن البنغالية شيئاً ، بل تزيد ، ويحلمها الآن شعب بكامله ، وهو جماعة «السيخ» . لأنها لغة كتابهم المقدس ، وهي مستعملة بكثرة في البنجاب خصوصاً ، وفي ما يجاورها من البلاد ؛ وهناك أيضاً تلاء ، اللغة القديمة التي لا يشوبها لفظ عربي ، ولا فارسي ، ولا إنكليزي ، وتسمى الكرمكية ، حروفها أشبه بالحروف السنسكريتية .

وهناك لغة ثانية ، هي المشوية بالفاظ من هذه اللغات ، وحروفها عربية أما اللغة الأولى فهي لغة غير المسلمين ، وأما الثانية فهي لغة المسلمين . وبعده البنجابية تأتي اللغة السندية ، وهي لغة أهل السند فقط ، وليست راقية كثيراً . وهناك اللغة الكجراتية

وهي تستعمل في ضواحي بمباي . واللغة التاميلية ، وهي تستعمل في ضواحي مدراس ، وهناك البلوجية، والبشتوية ، والكشميرية ، والمدرانية ، والفارسية وغيرها ، وكلها من اللغات الحية التي يتكلم بها ملايين من الخلق .

ومع كل هذا ، فإن للهند لغة واحدة يستطيع من يتعلمها أن يتفاهم مع كل طبقات الناس ، بتفاوت بسيط في طول الهند وعرضها ، وهذه اللغة هي اللغة الهندية ، وتقسّم إلى قسمين : قسم يعرف بهذا الاسم ، وهو لغة قديمة جداً ، مأخوذة عن السنسكريتية ، بألفاظها وحروفها واصطلاحاتها ، مع مزيج من لغات هندية أخرى ، تكاد تكون لغة الولايات المتحدة الهندية الرسمية ، وهي ذات أدب كبير واسع ، وتدرس في كل المدارس ، وأما القسم الثاني ، ويعرف باسم اللغة الأوردية ، فهو لغة جديدة من موجدات المسلمين في الهند .

وذلك أن الحكومة المغولية بعد فتحها للهند ، رأت تسهلاً على جنودها ، أن توجد لهم لغة ، فأوجدت هذه اللغة التي هي عبارة عن خليط من اللغات الهندية والفارسية والعربية ، وأسمتها بهذا الاسم ، ومعناه « الجيش » ؛ وقد يمكن أن تكون هذه اللغة أوجدت نفسها بنفسها ، بأن تعلم الجند شيئاً من اللغة الهندية ، وجعلوا يستعينون بلغتهم تارة ، وبالعربية — التي كانت قد استحسنت بهم — تارة أخرى ، فتولد عن ذلك هذه اللغة التي نمت نمواً لم يكن منظرها ، وأصبحت الآن ذات أدب عال . والسبب في ترقى هذه اللغة ، هو أنها أخذت من السنسكريتية فلسفة ، ومن الهندية أدباً ، ومن الفارسية ليناً ، ومن العربية سعة .

وبعد احتلال الانكليز للهند أخذت من اللغة الانكليزية ألفاظاً ، فأصبحت تمثل خمس لغات في وقت واحد ؛ وهي تكتب بالحروف العربية أو الفارسية ، غير أنه لما كانت حروف هجائها تزيد على غيرها عدة أحرف ، وضع لها الواضعون إشارات تميزها تمييزاً ظاهراً لا يدع مجالاً للشك ، فمثلاً جعلوا فوق (راه) العربية (طاه) صغيرة ، لتدل على أنها سنسكريتية ، حيث يختلف أدؤها من الخلق عن العربية ، وهكذا وضعوا (طاه) فوق الدال العربية ، وهجروا من الاشارات الحسنة المديزة ، وقد تداخلت فيها اللغة الانكليزية تداخلاً مسخها مسخاً ، حيث أصبح لا يستطيع من لا يعرف الانكليزية أن يفهما كما يجب ، بل قد يتعذر عليه أحياناً أن يفهم جلاباً كلها ، لأنها تكون إنكليزية ، موصولة بقواعد إضافية أو نسبية هندية لا غير ؛ وعنى كل حال فإن هذه اللغة الجديدة ، قد اكتسحت اللغات الهندية جميعها وقامت مقامها ، لدرجة أن الانسان يرى من يتكلم بها في كل بقعة من بقع الهند .

ولم ينفذني أثناء سياحتي ونجوالي في البلاد الهندية سنة ١٩٣٥ ، ما أعرف من اللغات الهندية وغير الهندية ، ولا الانكليزية نفسها ، كما أفادتني هذه اللغة التي ، يعني المسلمون بها أكثر من غيرهم ؛ لأنها أصبحت كافة شبيهة بالدينية لديهم ؛ لأن أكثر كتب الحديث ترجم إليها ، وكذلك كتب الفقه فإن أكثرها إما عربية أو أردية ، كما أن القرآن الكريم قد ترجم إليها عدة تراجم مختلفة ؛ [عليكرة . الهند]